الثورة
الجمعة 11 رجب 1433هـ 1 يونيو 2012م العدد (17363)

«في رحاب الله.. ورحاب الرسول».. للشاعر الراحل صالح عباس:

قصائد تعبق بالحب والإيمان

كتب/ محمد القعود

● «في رحاب الله.. ورحاب الرسول » هو عنوان الديوان الشعري الذي صدر مؤخرا بصنعاء وضم بين دفتيه مجموعة من قصائد الشاعر الراحل صالح عباس .

وجاء الديوان في 220صفحة من الحجم الكبير ،واحتوى على 45 قصيدة كتبها الشاعر الراحل خلال فترات متعددة من حياته ،وهي قصائد روحية ودينية نابضة بحب الله وحب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتعبق بنفسها الايماني ومناجاة الخالق عز وجل ،كما تكشف عن مشاعر صادقة لشاعر مفعم بالإيمان والصفاء والنقاء.

كما ضم الديوان مجموعة من القصائد التي قام الشاعر الراحل بتشطيرها ،وهي من القصائد المشهورة في الادب العربي، وقد قام بجمع وإعداد القصائد للنشر ابن الشاعر محمد صالح عباس.

● وفي تقديمه للديوان كتب الدكتور عبدالعزيز المقالح مقدمة تطرق فيها إلى حياة الشاعر الراحل وإبداعه قائلاً:

– عاش كالنسمة خفيفاً أليفاً، يحب الناس ويحبه الناس، لا يخاصم أحداً ولا يخاصمه أحد، ذلك هو الشاعر الإنسان الأستاذ صالح محمد عباس، الذي رحل ولم يرحل، رحل جسده وبقيت روحه وأعماله النبيلة وإبداعه الشعري، الذي سيبقى ما بقي الناس والشعر.

عاش على وجه هذه الأرض سبعين عاماً زاهداً قانعاً مكتفياً بالقليل، وعبرت الأضواء من حوله، وتركزت مصادرها الأولى بالقرب منه، فلم تفتنه، ولم يستجب لإغوائها، صعد من جواره كثيرون إلى الوزارات والمؤسسات، وهبط كثيرون عنها بعد صعود يطول أو يقصر، وهو في مكانه الثابت يؤدي واجبه في منتهى الأمانة والإخلاص، غير حافل بالكرسي الذي كان يجلس عليه في أمانة رئاسة الوزراء يستقبل أجيالاً متعاقبين من المسؤولين التنفيذيين ويودعهم ويسجل في محاضر الاجتماعات آراءهم واختلافاتهم، لم يكن يشكو أو يتوجع أو يطالب بما هو حق له، لا سيما بعد أن أحيل إلى المعاش قبل الأوان.

وبعد أن تعمّقت خبرته وسمت تجربته بدأ الأستاذ صالح عباس كتابة الشعر في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي، وكان شعره يعكس عذوبة روحه وبساطة حياته، لا يتصنعه ولا يبالغ في تعقيداته، غير مسرف في التنميق والضجيج اللفظي، لذا كان إبداعاً قريباً من نفوس القرّاء يشع في قلوبهم البهجة والهدوء وفي عقولهم الإحساس بالتأمل والتفكير.

ويضيف: وكان في جلساته «المقيلية» نجماً ساطعاً من نجوم الأدب وحلاوة المعشر، يجمع من الخصال الأخلاقية الرفيعة ما يجعل جليسه مشدوداً إليه بإعجاب ويتابع أحاديثه وخواطره وآراءه باهتمام وافتتان وهو ينتقل من موضوع إلى آخر ومن فكرة إلى أخرى في سلاسة وتلقائية وعدم تكلف، يروي من قديم الشعر وحديثه ما يدهش ويبعث على الارتياح.

تعرّفت إلى الأستاذ صالح في أواخر الخمسينيات في صنعاء بعد أن انتقل إليها من مدينة تعز التي كان قد عاد إليها من عدن بعد فترة أمضاها معارضاً الحكم الفردي الكهنوتي، لكنه أدرك من تجربته وتجربة زملائه أن المعارضة من الخارج لا تجدي شيئاً حتى وإن كانت المعارضة من عدن اليمنية التي لا تبعد عن مقر حكم الإمام سوى عشرات الكيلو مترات، فآثر العودة إلى شمال الوطن ليمارس نشاطه السياسي التنويري وليعمل فترة قصيرة في وزارة الخارجية الناشئة، ثم وجد نفسه في صنعاء وفي وزارة التربية والتعليم «المعارف» آنذاك، وفيها قام بدور لا يُنكر في محاولة تطوير أوضاع المدارس التي كانت اسماً بلا مسمى، سواءً منها الابتدائية أو المتوسطة أو الثانوية، وكان حريصاً على تشجيع طلاب المدرستين التحضيرية والثانوية على إقامة المهرجانات وإلقاء الخطابات والقصائد.

● ويقول الدكتور المقالح متذكراً الشاعر صالح عباس:

– وأتذكر قصائده التي كان يلقيها في تلك المحافل، مشيداً بالعلم وبما ينتظره الوطن على أيدي شبابه الوطني الغيور.

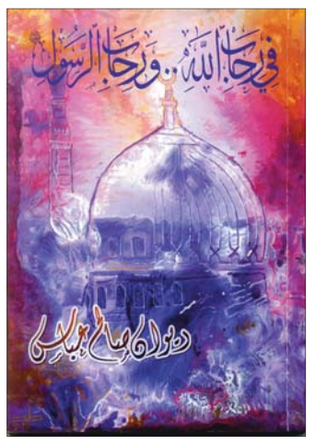

وبعد قيام الثورة مباشرةً بدأ عمله في أول مجلس وزراء يتم تشكيله في البلاد، ولأن أعباء العمل في ذلك المجلس كانت مرهقة فقد صرفت الأستاذ صالح عباس عن الشعر واستغرقت جل وقته، ولم يعد يكتب سوى مقاطع قصيرة في أوقات متباعدة، وبعض قصائده كان يستوحيها من رحلاته القصيرة، كما تدل على ذلك قصيدتان في مدح الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، وفي زيارة قام بها إلى المدينة المنورة.

وعندما زار القاهرة في منتصف السبعينيات، وكنت يومئذٍ في رحلة إعداد رسالة الدكتوراه، أسمعني قصيدة بديعة أعادته إلى سنوات التوهج والإبداع الشعري، وقد شكا لي في ذلك اللقاء وطأة العمل الذي يأكل وقته كله ولا يدع له سوى دقائق معدودات لمتابعة بعض ما يصدر من جديد الشعر، وكان يتذكر بحسرة جلسات ما قبل الثورة، وكيف كنا نلتهم كل ما يصل إلى أيدينا من كتب ونعيد قراءة بعضها أكثر من مرة.

ولن أضيف جديداً إذا ما قلت : إن الشاعر صالح عباس كان منذ وقت مبكر يميل إلى حالة من التصوف وانتهاج طريق الصالحين من المتصوفة، ليس في كتابة الشعر الروحي فحسب، وإنما في السلوك – أيضاً – وقد تعمق هذا النزوع في حياته أكثر فأكثر في السنوات العشرين الأخيرة من عمره.

وقبل وفاته بأعوام قليلة كان قد اعتزل حتى عن أصدقائه المقربين، وخلا إلى نفسه متوحداً في مناجاة خالق الكون، وقد أبدع في تشطير قصيدتي الإمام البوصيري في مدح الرسول الأعظم عليه صلوات الله وسلامه، والقصيدتان هما المعروفة إحداهما بـ «الهمزية» والأخرى هي «الميمية» ، المعروفة – أيضاً – بـ «البُردة» ، بالإضافة إلى تشطيره لقصيدة «نهج البردة» لأمير الشعراء أحمد شوقي، وهذه التشطيرات من أعذب وأبدع ما يضم هذا الديوان لصديقنا العزيز ومن أحب القصائد إلى نفسه ونفوسنا – نحن أصدقاءه ورفاق دربه الأدبي – :

«كيف ترقى رُقيّكَ الأنبياءُ»؟
ولكَ الفضل – شامخاً – والعُلاءُ
قَبَس أنتَ.. منْ إله عظيم
«يا سَماءً.. ما طاوَلَتْها سماءُ»
«لم يُساووك في عُلاكَ» وقد فاق
سُمُوقاً وطال منه البناءُ
أو يُدانوك في المقام، «وقد حال
سَنىً منك دُونهَم – وسناءُ»
«إنّما مثّلوا صفاتك للناس»
لتدنو – مَن فهمها – الآراءُ
مثّلوها ولم يحيطوا بها وصَفاً
«كما مثّل النجوم.. الماءُ»

ومن تشطيره البديع لقصيدة أحمد شوقي هذه الأبيات التي تعد شهادة خالدة على شاعرية الأستاذ صالح عباس وارتحاله في المدى الذي وصل إليه شاعر العصر الحديث :

طويتُ جرحي على ما فيه من خطر
«جرح الأحبّة عندي غير ذي ألمِ»
«رُزقت أحسنَ ما في الناس من خُلُق»
ونلتَ أحسنَ ما في النّاس من عظمِ
«يا لائمي في هواه، والهوى قَدَرٌ»
على ذوي الوجد، والإحساس والفَهَمِ
هل ذُقتَه؟ هل عرفتَ الحُسن عن كثبٍ؟
«لو شفّكَ الوجد لم تعْذِلْ، ولم تَلُمِ»

وكما أبدع شاعرنا وأجاد في تشطير روائع المدائح النبوية، فقد أبدع وأجاد – أيضاً – في تشطيراته للإلهيات والتوسلات التي كتبها الشعراء القدامى وظلت تتردد منذ عصور على القارئ.

إن هذه التشطيرات بدأت مع الأستاذ صالح عباس منذ بداية الستينيات، وزاد عددها في السنوات الأخيرة من حياته، وكثيرٌ هم الشعراء الذين اتجه إلى تشطير قصائدهم الروحية أو مقاطع منها، وأبرزهم أبو العتاهية وأبو نواس، والبرعي، وهذا مثالٌ من تشطيره لأبيات منسوبة إلى الإمام الشافعي – رضي الله عنه – :

«ولمّا قسا قلبي، وضاقت مذاهبي»
وأظلمَ وجه الأفق حتى تجهّما
وما عاد في قوس التصبُّر منزَعٌ
«جَعَلتُ رجائي.. نحو عفوكَ سُلّما»
«تعاظمني ذنبي فلمّا.. قرنتُهُ»
برحمتكَ الكبرى.. امّحى، وتهشّما
وأرّقني إثمي.. فلمّا وَزَنتُهُ
«بعفوكَ ربّي.. كان عفوكَ أعظما»

● ويختتم الدكتور المقالح مقدمته بقوله:

إننا في هذا الديوان لا نكون في حضرة شاعر واحد هو الشاعر صالح محمد عباس، وإنما نكون في حضرة عدد من الشعراء العظام الذين زهدوا في الحياة الدنيا وزخرفها الزائل وتركوا لنا خلاصة تجاربهم في هذا الفيض من الشعر الزهدي البديع، كما نكون في حضرة شاعرين عظيمين تركا للإنسانية أروع ما قيل من شعر مدح الرسول الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم، وهما : شرف الدين البوصيري، وأحمد شوقي، وذلك ما يضاعف أهمية هذا الديوان ويربط الأجيال بتراثهم الشعري ويدفع بهم إلى اكتشاف المزيد من هذا الشعر الذي يعيد التوازن إلى الروح القلقة ويمنح الإنسان – لا سيما في هذا العصر – إحساساً بالتعافي في الحياة على ما يشيع في أجوائها المتقلبة من هموم وأكدار.

أوراق

محفوظ عبدالله حزام

■ قد نهجر من نحب كثيرا وقد نقترب اكثر ليس لأننا نحب لكن لأننا نرحم أكثر سبب الأولى إما لأن الحبيب شديد اللؤم في حبه أو لأنه لا يحب الا ذاته وفقط ذاته اما سبب الأخرى لأنه وديع الفطرة نقي الحديث صادق النظرة.

المجتمع الفولاذي هو الوحيد الذي يخرج لنا مالا يحمد ولا يطاق من القسوة والمكر وكل شيء محل نظر الا ان تجد مثل ذلك السوء يطال رمزي البراءة والنقاء (المرأة والطفل) كأن النهاية اضحت وشيكة بعد ساعة من الآن.

لست اقل حضا حتى لا تأخذ ما تستحقه لكن من كنت تعتقد انهم أصدقاؤك هم اكثر كذبا وخيانة واقل انسانية بعد هذه العبارة صمت كثيراً ثم قال كأنك اصلت وجعي ومسكت بذات السر بالوجع كم في الكون ضحايا الكذب والـ..!

ما اكثر من يأخذ حقوقا لا يستحقها ولذا وجد الأنين والصخب، اعرف صديقا مخلصا للحق والحب والحياة وحين اتعبه غدر الإنسان اعتزل الجميع واتخذ له بيتا صغيرا بسيطا في صحراء ليس فيها الا الشمس وربها ارجوووكم وربكم تأملوا!

ابا الإنسان ان يعذب ذاته لماذا؟ هذا هو بيت القصيد الذي سيظل يدور في سياقه اهل الكلام والريشة والموسيقى وخاصة الألحان والفنانون وكل ارباب القوى الناعمة من يجيدون النظرات الساحرة بقلوبهم النقية وخفقاتهم النبيلة.

لا أجمل من أن تحكمنا البراءة قولا وفعلا يقول قائل لكننا لا نجد ما نستحق هذا صحيح لأن الحيتان قد كثرت ومع ذلك مسار الروح سيبقى هو محور انطلاق او انكماش طبقة الأوزون.

الفعل الجميل والأقوى دوما لا يدل إلا على الحب السامي وفي جوهر الوجود سيبقى صوت الفعل أقوى من صوت القول.

نعرف المشاعر القوية الصادقة بثباتها رغم قسوة الصد او سوء الفهم او سوء العيش اما اذا تبدلت المشاعر إلى كراهية وانتقام فذلك دليل على الزيف الحتمي والدجل الأرعن للأسف باتت العلاقات الإنسانية كالحالة الأخيرة.

يسير بلا خطى

صلاح محمد الشامي

شجر
يطلّ على الضحى
من شرفة اللا وقت
ينسلّ الزَمانُ هناك
ينسدلُ المكان..،
وطن
يسرّحُ قُبّة الإمكان
من: لا مستحيل...
لكن
يسير بلا خطىً
لا علم لي أنّى سيرسي؟
أين؟
أو حتى متى؟
وطن
يصفق للبيان
لخطة المجهول..
يبقى حالماً
ويداه ترتعشان من عدمٍ
ومن بردٍ
ومن..
وطنٍ
يؤوّل لافتات الوعد أحلاماً
يشبهها بما يرجو
ولا يلقى سوى الأحلام
ذابلة
على ذكرى حروفٍ ذابلاتٍ
حينما اهترأت حروف
اللافتات.
وطن
يهندم ياقة المسؤول مبتسماً –
ويمشي حافياً
وطن
يسير بلا دليل
نحو مجهول
يقال: غداً سيأتي موعدُ الترحال
سوف تحينُ لحظة الانطلاقة
نحو ماذا..
.....
غير أنّ غداً بعيد
.....
ربما تتغير الأحلام
أو يتبدّل المكتوب
أو سيعيدنا الغد للعجاف
.....
غداً..
ويأتي..!! كي نقول:غداً – بملء الصوت–..
يأتي
كي نقول:غداً..،
متى يأتي غد يا وقت..
هل عصر الزمان هنا
على وطن يسمى الغرُّ فيه الكرّ..
هل أدخلتنا – يا وعد– ثقباً أسوداً..
هل عامت الكلمات في بحرٍ خرافي
كذوب
هل نأت أحلامنا عنا...
استحالت..
هل نظلّ بدربنا الغبشي نخبط..
لا الخطى وقفت هناك
ولا تقدمنا
وما زلنا
نعيش– بقدرة الباري–
على أقصى هوامش ما يكون العيش
والوطن المصفق للظلام
يدور مع دوران كوكبه
تعاقبه الضحى والليل
والوقت الأفول
وساكنوه ملغمون بصمتهم
بالحلم
بالآمال
بالغد
بالوعود

اصدارات ثقافية

الهوية السردية والتحدي العولمي

● لندن – زهير الخويلدي واحد من الكتاب العرب القلائل للغاية الذي أضفوا على الاهتمام الفلسفي طابعا عاما، وعملوا على جعل الفلسفة امتدادا للحياة اليومية، بكل ما تنطوي عليه من شؤون ومشاغل.

وفي كتابه الجديد «الهوية السردية والتحدي العولمي» الذي صدر عن دار إي كتب، يكشف الخويلدي عن بعد جديد من أبعاد مشروعه الفلسفي، الذي كان كتابه السابق» شذرات فلسفية» بمثابة المتن الأول له.

أن تمتلك رؤية فلسفية، يعني أن تمتلك حلا، أو في الأقل تصورا عقلانيا للحل.

وعلى الرغم من الاعتقاد الشائع بان الفلسفة نوع من الترف الفكري، إلا أنها بالمنظور الذي ينطلق منه الخويلدي، اداة حيوية ليس لمعرفة الواقع او إدراك طبيعته، ولكنها أداة لحل أزمات، ومعالجة مشكلات، وتخطي عقبات.

انها سبيل لتحديد موطئ القدم أيضا حيال قضايا العالم وشؤونه. والمرء يكاد أن يبدو ضائعا من دون بوصلة فلسفة تحدد له الاتجاه الذي يمكن لا شرعته أن تذهب اليه. يقول المؤلف إن كتابه «ينبجس من المعاناة ومن الاكتواء بنار العولمة الملتهبة مستشرفا أفق الطريق الثالث وقد ترعرع بين أحضان زمانيّة فكر انفتح على الوعي بصدمته زمن العولمة ويقظة الفيلسوف الدائمة بمفارقاتها ومخاطرها متنبّها إلى استفحال ظاهرة الحرب وتهديدها التي تنذر بجرّ كلّ البناء الحضاريّ الإنسانيّ إلى الهدم والهاوية...

غير أنّ مؤلّف استراتيجيّات فلسفيّة يأتي كمتن فكريّ ليحاول المقاومة والتحرّر من هلاك عولمة لا تبقي ولا تذر. ويعمل على تأسيس فكر متمرّد على ذاته محاكم لمسبقاته. وهذا الكتاب من المحاولات المجنونة والمغامرة للتحرّر من ميتافيزيقا النهايات والحسم مع منظّري القطيعة الكارثيّة. وهو، كذلك، من المبادرات الفرديّة التي تَلَحّفت الصمت واشتغلت في الهامش عبر اختراق المركز وتدمير الأسس. إنّه ينظر إلى أنّ هذه الميتافيزيقا لا تتهاوى إلا بممارسة لعبة الكتابة والقراءة والنقد والتفكيك والتأويل والفهم».

وبمقدار ما يتعلق الأمر بالعولمة، فان المؤلف لا يخفي نظرته الفسيحة لها. قائلا «إنّ زمن العولمة ليس مجرّد مقولة اقتصاديّة فرضت نفسها على دنيا السياسة والثقافة. بل هو المعنى الذي يمكن أن نمنحه لوجهة التاريخ الآن وهنا. وهو العصر الذي نعيش فيه والذي هو بصدد التشكّل والطلوع بعد تلاشي الزمن الامبرياليّ، وقد يحملنا هذا العصر إلى مصير مجهول لا ندري فيه ماذا نفعل وماذا نقول وإلى أين نتّجه، لأنه عصر صنميّة الصورة والفوضى الخلّاقة وصعود الإمبراطوريّة ذات القطب الواحد التي تجعل من الحرب النمط الوحيد لاستعادة التوازن وبسط «الأمن» في المعمورة».

ولكن هذا الكتاب لم يهطل مفردا. انه جزء من مسيرة قادت كاتبها ومفكرها الى اقتحام خيارات وتجربة امكانيات وتفحص بدائل. ويقول ان شذرته الأولى «تراوحت بين القراءة والكتابة واللغة والترجمة والتأويل والفنّ والتفلسف والإبداع والمقاومة الثقافيّة وحسن الظنّ بالطبقة الصّاعدة والعالميّة البديلة. أمّا في الشذرة الثانية، هذه، فإنّها ترتكز على مقولة السياسة الحيويّة بماهي نظريّة سياسيّة برزت بعد تأبين عصر الإيديولوجيّات ودخول المعمورة عصر الذرائعيّة والإجرائيّة في مستوى تنظيم الحياة الإنسانيّة».

وفي نطاق هذه «الشذرة» الفلسفية الثانية، فان المؤلف يقوم «باستثمار مفهوم» الهويّة السرديّة» من حيث هو ملتقى طرق بين الإنيّة والغيريّة، وبين الفرد والحشود، وبين التراث والحداثة وما بعد الحداثة. وهو يبشر بقدوم عصر التنوير الأصيل. كما يعمد إلى تفكيك آليّات الإرهاب.

وهو يجعل من الشعريّ مقاما للعرب للتواجد في العالم. في حين أنّ مفهوم الإستراتيجيّة لا يعني فقط التفكير بعيد المدى أو التخطيط المستقبليّ والتنظير لماهو آتٍ بالتوجّه نحو صنع الغد الأفضل، بل هو خطة مصيريّة يتوقّف عليها الوجود في العالم بالنسبة إلى «حضارة اقرأ» بأسرها. وهي خطة ترتبط بالترفّع عن التكتيكيّ وتلمس المقاصد الكبرى التي ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار في كلّ قول أو فكر أو فعل».

تحت الشمس.. رسائل بروس شيتوين

● توفي الروائي والرحالة البريطاني بروس شيتوين عام 1989، حين كان في التاسعة والأربعين من عمره. وقد عمل في بداية مسيرته المهنية، في صالة سوثبي، للبيع بالمزادات، بصفة خبير في مجال الفن الانطباعي. ولكنه توقف عن العمل فيها، بعد ان ضعف نظره وتعب، من التدقيق في اللوحات الفنيّة، ليسافر بعدها إلى إفريقيا، حيث زار عددا من البلدان، وفي عدادها السودان.

وتحوّل بعد ذلك، الى دراسة علم الآثار، ولم يستمر اهتمامه الجديد، سوى عامين فقط، إذ بدأ بعدها، ومنذ عام 1972، العمل كمستشار في مجال الفن، لدى مجلة «ساندي تايمز ماغازين». ثم كانت الكتابة الروائية مهنته، خلال العقدين الأخيرين من حياته.

ترك بروس شيتوين كماً كبيرا من الرسائل لزوجته اليزابت شيتوين، وايضا لعدد من أصدقائه والمقرّبين منه. ويضم كتاب «تحت الشمس»، مجموعة من هذه الرسائل التي اختارتها زوجته بمساعدة الكاتب نيكولا شكسبير.

ومن ما يؤكد عليه شيتوين في رسائله، أنه كان مولعا إلى درجة التطرف، بما يسميه: «الفراديس المشبعة بالشمس»، مثل : اليونان واسبانيا وبلدان جنوب المتوسط. وكذلك يبدو مولعا بالجمال، كما يعبر بوضوح وحماسة في رسائله. وهذا إلى جانب امتلاكه قدرة كبيرة على سرد الحكايات، حول ما يراه، أو ما كان يعيشه، أو عندما يتحدث عن اللوحات الفنية، إذ لم يكن يتردد في تقديم النصائح لأصدقائه عنها.

وتحتوي الرسائل المقدمة، على الكثير من الآراء حول المناطق التي زارها. وهكذا نجده يقول عن ليما عاصمة البيرو، أنها مدينة باهتة، ويكتب عن بلاده انجلترا: «انجلترا اليوم صغيرة.إنها عالم من المخازن المتخصصّة بالموضة وغيرها من الأشياء التي تدعو إلى التذمّر والاكتئاب، ولا شيء آخر يثير الاهتمام».

ولا يتردد المؤلف، في إظهار نوع من البغض حيالها، لكن أيضا حيال ساسة عصره وفي عدادهم رئيسة وزراء الهند السابقة انديرا غاندي، وتأكيده أنه لم يكن يبحث في ترحاله عن عالم أفضل، لكن بالأحرى عن عالم يمكنه أن يقبله. هذا بمعنى أنه لم يكن من صنف أولئك الرحالة الذين يبحثون عن اكتشاف الآخر، بل عن اكتشاف الذات.

وفي رسالة كتبها لأمة «مرغريتا شيتوين» من أفغانستان التي وصلها انطلاقا من «مشهد» في إيران يصف البشر الذين صادفهم في «هيرات» حيث ترتدي النساء «البراقع» ويضع الرجال على رؤوسهم «عمائم ضخمة» مصنوعة غالبا من «الحرير ذي اللون الوردي الفاتح».

أما المركبات التي يجرّها البشر التي صادفها في الأسواق فإنها «لم تتغيّر منذ أن استقل الاسكندر المقدوني إحداها للانتقال من أفغانستان إلى الهند». هذا إلى جانب إشارته أن «هيرات» لا تزال تحتوي على الكثير من الأبنية التي تعود إشادتها إلى الحقبة التي كانت فيها «أحد أكبر المراكز التجارية في آسيا». إن هذه الرسالة تمثل بمجملها وثيقة عن صورة تلك المدينة الأفغانية ولكنها تحتوي أيضا، وخاصة، نبذة عن تاريخها وعن تاريخ أفغانستان عامة.

كذلك يكتب بروس شيتوين في أحد رسائله عن أفغانستان: «لا نزال نرى في عموم أفغانستان قوافل الإبل التي تهيم شاردة ذلك أن البلاد أصبحت سوقا للملابس التي تتدلّى بألوانها الزاهية على جوانب المركبات. وما يثير الاستغراب في هذا الموقع المتقدم من الشرق الحر هو أن تلك الملابس كلها هي من صناعة غربية (...). ومن يريد دراسة الموضة الحديثة قد لا يستطيع أن يجد متحفا أفضل للثياب من هذا المكان».

ويشير الكاتب أن جميع بيوت الأزياء الأميركية الكبرى كانت موجودة في أسواق أفغانستان آنذاك من شيكاغو إلى هوليود، ومن «القطيفة المخملية السوداء» إلى «الدانتيل الأحمر».

وتحتوي الرسائل المنشورة في هذا الكتاب شرحا لرؤية صاحبها للحياة ولفلسفته في العيش. ونقرأ في رسالة وجهها إلى صديقه «مايكل كانون» عام 1966 ما مفاده: «ربما أنك قد علمت بتركي للعمل في صالة سوتبي للبيع بالمزاد العلني من أجل تحضير شهادة جامعية بعلم الآثار في ادمبورغ. إن التغيير هو الشيء الوحيد الذي يعطي مبررا للحياة. ينبغي أن لا نبقى دائما مسمّرين خلف مكتب، ذلك أن مختلف أشكال التقرّحات والأزمات القلبية قد تكون هي عواقب ذلك».

ويكتب شيتوين من أحد فنادق «بيونس ايرس» في الأرجنتين لزوجته «اليزابت شيتوين»، التي قدمت لهذا الكتاب واختارت رسائله، ما مفاده: «بيونس ايرس هي مزيج غريب تماما من باريس ومدريد، لكن دون أي عمق تاريخي». لكنه يؤكّد بكل الحالات على جمال المدينة الأخّاذ.

ثم يقدم توصيفا لواقع تعامل الأرجنتينيين مع الانجليز الذين تربطهم معهم علاقات تاريخية ومع لغتهم حيث «لم يعد الأرجنتينيون من أصل انجليزي يمتلكون طلاقة الحديث بلغتهم الأصلية». ويضيف «بينما أن بعض أبناء البلاد الأصليين يتحدثون الانجليزية أفضل مني أحيانا».

ومن رسالة إلى أخرى ينتقل الكاتب بقارئه إلى عوالم جديدة وإلى آفاق جديدة عبر الحديث عن الأمكنة والبشر والتاريخ. وبالمحصلة يساعده على التعرّف على أشياء كثيرة في رحلة عبر العديد من أصقاع العالم...ولكن من خلال صفحات هذا الكتاب.

الكتاب: تحت الشمس رسائل بروس شيتوين
تأليف: بروس شيتوين – الناشر: فايكنغ بوك لندن 2011 – الصفحات: 554 صفحة – القطع: المتوسط.